أ ة / نبيلة لرباس
المركز الجامعي تيبازة

نضـــــال الشيخ الفضيـــــل الـــــورتلانـــــــي
و دوره في وحـدة المغرب العربي

الكلمات المفتاحية: الفضيل الورتيلاني، الحركة الاصلاحية ، المغرب العربي، الجزائر ، الاستعمار الفرنسي ، المشرق العربي

الملخص:

معروف في العالم العربي أكثر منه في الجزائر، علم من أعلام الإسلام المعاصرين و يعتبر من أهم الشخصيات الإصلاحية و السياسية و الدينية و الفكرية في الجزائر و العالم العربي و الإسلامي، كان من أقرب الطلبة للشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي اختاره ليكون ممثلا عن جمعية العلماء المسلمين في فرنسا و الكثير من الدول العربية من أجل التعريف بالقضية الجزائرية و كسب دعم الشعوب العربية للثورة التحريرية ماديا ومعنويا، و هو الشيخ العالم الثائر الفضيل الورتلاني، الذي حارب الاستعمار في بلدان المغرب العربي و عمل على توحيد أقطار شمال إفريقيا. وصف حاله الأستاذ علي مرحوم عند أول معرفة به في مدرسة بن باديس قائلا: « لاحظت منذ أول لحظة عرفته فيها، أنه يتحلى بروح قوية، و يمتاز بحيوية دافقة، و نشاط ذاتي، وحماس متزايد. و كان يسعى دوما لربط صلاته بطلاب الشيخ "بن باديس" الواردين من مختلف مناطق الجزائر. و يتمثل لنا يومئذ كأنه الأخ الأكبر لأولئك الطلاب. يريد أن يخرجهم من حالة الخمول التي جاءوا بها.. ويبعث فيهم الحيوية و النشاط و الثقة بالنفس، قبل أن يتاح لهم ذلك عن طريق دروس شيخهم.. ولهذا كان يشرف على تنظيم ندوات خطابية للطلبة، ليلة يوم العطلة الأسبوعية.. يتبارى فيها هؤلاء بتقديم ما أعدوه نثراً أو شعراً، كتابة أو ارتجالاً »[1].

يُعد العلامة الداعية المجاهد الشيخ الفضيل الورتلاني الذي كان ذا أثر فكري إصلاحي بالغ من أعلام الفكر و الأدب و السياسة و الإصلاح في الجزائر خصوصًا و في الوطن العربي عمومًا. الأستاذ الشيخ الفضيل الورتلاني أحد عظماء الجزائر، و عنوان من عناوينها البارزة الصادقة، عاش عمره كله مجاهدا في سبيل الجزائر و اشتهر بهذا الجهاد و مناهضا للاستعمار الفرنسي، و ذاع صيته في مختلف البلدان العربية حتى كان كالمنارة الهادية. نحاول من خلال هذه الوقفة أن نستقصي شيئا من حياته و من

دروب نضاله و جهاده الكبير، ونتعرف على بعض ملامح خدمته الجزائر و مساندته للثورة التحريرية و تحرير و وحدة المغرب العربي و الأمة العربية.

أولا - المولد و النشأة

ولد الأستاذ الجليل المرحوم و المجاهد حسنين الفضيل بن محمد السعيد بن فضيل، المعروف باسم الشيخ الفضيل الورتلاني في 06 فبراير عام 1900، بقرية آنو بلدية بني ورتلان دائرة بني ورتلان ولاية السطيف[2]، وينحدر من أسرة عريقة اشتهر منها جده الحُسين الورتلاني، العَالِم و الرحالة صاحب الرحلة المشهورة المسماة " رحلة الورتلاني "، سجل فيها كل مشاهدته و انطباعاته أثناء رحلته إلى البقاع المقدسة، لأداء فريضة الحج. واشتهر منها أيضا جده الأعلى " سيدي أحمد الشريف الحسني البجائي "، العالِم و الفقيه و صاحب الزاوية المعروفة في نواحي بني ورتلان. لما بلغ سن العشرين جُند للخدمة العسكرية الإجبارية، و اكتشف خلال ذلك ما كان يقاسيه الجزائريون من تمييز و احتقار من جانب الفرنسيين[3].

و مثل غيره من طلبة العلم، حفظ الفضيل الورتلاني القرآن الكريم و تعلم مبادئ القراءة و الكتابة، وتلقى في مسقط رأسه دراسته الأولى على علماء اشتهروا بالفقه و علوم القرآن و انقطعوا لخدمة الإسلام و المسلمين[4]، و درس المعارف العربية و الإسلامية على علماء عصره و منهم الشيخ السعيد أبهلول الورتلاني. و في حدود عام 1920 أرغم على أداء الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي الاستعماري، فلاحظ الميز العنصري بين المجندين المسلمين و الأوروبيين، و عندما أكمل هذه الخدمة عاد إلى مسقط رأسه ليواصل التعلم[5].

1- التحاقه بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

انتقل الشيخ الورتلاني سنة 1928 إلى مدينة قسنطينة بهدف طلب العلم و الاستزادة منه، و هناك جمعته الأقدار بإمام النهضة في الجزائر عبد الحميد ابن باديس، و هكذا لازم الفضيل الورتلاني شيخه عدة سنوات طالباً فمساعداً و في بعض الأحيان مستخلفاً إما لإلقاء الدروس على طلبة الإمام، و إما للقيام بمهام الوعظ و الإرشاد التي يكلفه بها الإمام علماً منه بأنه خير من ينوب عنه في تأدية تلك المهام[6]. تعلم الفضيل الورتلاني عن أستاذه عبد الحميد ابن باديس كيف يشحذ الجهاد في سبيل العلم و الإسلام و العربية، فاختاره لتمثيل " الشهاب " عبر الوطن، و كان ينتقل باسمها في مختلف أنحاء القطر الجزائري و يدعو إلى الإصلاح. كما اختاره الأستاذ الإمام مساعدا له في التدريس لبعض المناهج

المقررة من بداية السنة الدراسية 1933 – 1934 [7]، فقام بالمهمة خير قيام. في شهر أكتوبر 1934 عين مدرسا في مدرسة التربية و التعليم الإسلامية، و في نفس الوقت أخذ الشيخ ابن باديس يصطحبه معه في رحلاته و جولاته داخل البلاد كما حصل عام 1934 إلى ميلة، التلاغمة، برج بوعريريج، سطيف، بوقاعة و باتنة خلال شهري ماي و جوان من نفس العام، و عندما أصدرت مدرسة التربية و التعليم الإسلامية نشرة تربوية عام 1936، شارك في تحريرها بموضوعين الأول عن التربية و الثاني عن الشباب[8].

و في هذا الصدد، يقول عنه العلامة الأستاذ البشير الإبراهيمي ما يلي: « لازم إمام النهضة عبد الحميد بن باديس فتأثر بمنازعه الخطابية و مواقفه في حرب الضلال [...] و حضر اجتماعات جمعية العلماء العامة والخاصة فاكتسب منها الصراحة في الرأي و الجرأة في النقد و الاحترام للمبادئ لا للأشخاص ".كان الأستاذ الفضيل الورتلاني ثورة على البدع و الخرافات و دعوة إلى الإسلام الصحيح و إحياء اللغة العربية لغة الدين والوطن و حملة شعواء على الطريقة الضالة و الشعوذة المخربة و إنصاف الرجال الذين باعوا أنفسهم وضمائرهم و ألسنتهم لفرنسا و وقفوا أجسامهم و عقولهم على خدمتها فكانوا لها عيونا و أعوانا و جنودا وعبيدا»[9].

2 - نشاط الفضيل الورتلاني في فرنسا 1936 - 1938

شعر الإمام عبد الحميد بن باديس خلال زيارته لفرنسا بضرورة الاهتمام بالجزائريين المقيمين فيها وأدرك مدى حاجتهم إلى تعلم دينهم. و تبلورت في ذهنه فكرة إرسال أحد تلاميذه المخلصين إلى فرنسا[10]، و نظراً لما صادفه الأستاذ الفضيل الورتلاني من نجاح في عمله، و ما كان يمتاز به من صفات، انتدبته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و بأمر من رئيسها ابن باديس للقيام بنشر مبادئها و الدعوة الإصلاحية بفرنسا، بقصد توعية العمال الجزائريين المغتربين بها، و تعليم أبنائهم حتى لا يذوبوا في المجتمع الفرنسي، و ينسلخوا من قيمهم الدينية و الوطنية، فغادر الأستاذ الورتلاني الجزائر إلى فرنسا في منتصف سنة 1936 مزودا بنصائح الإمام و توجيهاته و مسلحاً بعلمه و عقيدته[11].

شرع الورتلاني متوكلا على الله، بمعية مجموعة أخرى من الأساتذة[12] الذين التحقوا به بأمر من الجمعية، يخطط للعمل المثمر و الهادف الذي سيقلع جذور الاستدمار الفرنسي في وطننا بعد الحين، و بدأ العمل من حيث البداية أي تنبيه العمال المغتربين، و توعيتهم توعية وطنية تجمع بين قوة العقيدة الإسلامية ورسوخ معاني الأخوة في الدين و اللغة و الوطن و الاتحاد. توصل الورتلاني و إخوانه الأساتذة إلى إنشاء عشرات الأندية في باريس و ضواحيها حيث توجد مجموعات كثيرة من المغتربين الجزائريين، بفضل ما كان يقدمه من دروس و محاضرات و ندوات في التربية و محاربة الأمية و التفرقة[13].

كما أسس الورتلاني نوادي التهذيب لتعليم اللغة العربية ونشر مبادئ الإسلام ومحاربة الرذيلة في صفوف المسلمين المقيمين في فرنسا[14] وشرح للجمعية مدى حاجة النوادي إلى المدرسين خاصة بعد امتداد نشاطها إلى المدن الفرنسية الكبرى، فتمكن الشيخ الورتلاني بعد جهد جهيد و خلال أشهر معدودة أن يؤسس أكثر من 17 نادي و مدرسة و منتدى لتعليم المهاجرين و أبنائهم اللغة العربية و أمور دينهم الإسلامي[15].

هذه شهادة الشيخ البشير الإبراهيمي تحت عنوان " الفضيل الورتلاني " جاء فيها ما يلي: « [...] جاوز البحر سنة 1936 بموافقة من الأستاذ الرئيس و مني، ليرد على الضالين من أبناء قومه هدايا الإسلام و ليرد على الناشئين هناك من أبنائهم ما أضاعه الوسط من دين و لغة، و ليزرع في قلوب الآباء و الأبناء معا حب الدين و الجنس و اللغة و الوطن و ليعيد إلى الجزائر قلوبا تنكرت لها [...] جمع شملهم على الدين و قلوبهم على التعارف و الأخوة و جمع أبنائهم على تعلم العربية و أسس في باريس و ضواحيها بضعة عشر ناديا [...] نجح الفضيل الورتلاني في أعماله كلها نجاحا عاد على المسلمين في فرنسا بالخير و البركة و عاد على جمعية العلماء بالسمعة العطرة و الدعاية الطيبة »[16].

نجح الورتلاني في هذه المهمة بفرنسا ليس في أوساط الجالية الجزائرية فحسب، بل حتى في الأوساط العربية و الإسلامية التي تواجدت في أرض الاستعمار الفرنسي و في العاصمة باريس على وجه الخصوص، حيث عرف كيف يجمع بين أبناء الملة الإسلامية الواحدة، و يعقد عدة اجتماعات و اتصالات ضمن الخندق الواحد و المصير المشترك للخروج من محنة الاستعمار التي كانت تعاني منها معظم الأوطان العربية والإسلامية قبل الحرب العالمية الثانية[17].

لما تأسست حركة نجم شمال إفريقيا في باريس عام 1926 للدفاع عن حقوق العمال المغاربة، رحب بالعلماء و استدعى زعماؤه خاصة راجف بلقاسم و سي جيلاني و الشيخ الفضيل الورتلاني لإلقاء الدروس والمحاضرات في خلايا الحزب و في المقاهي المعروفة بميولها الوطنية و خطب في كثير من تجمعاتها الجماهيرية. أحس بعض زعماء الحزب و خاصة مصالي الحاج بخطورة نشاط النوادي و تحولها إلى مراكز سياسية منافسة خاصة بعد حل حزب نجم شمال إفريقيا في جانفي 1937، فتسرب بعض زعماء النجم إلى مراكز القيادة في النوادي مثل آيت علي، عكنون سعيد، بلغول رابح و بوشافة صالح. واضطر حزب الشعب الجزائري الذي أسسه مصالي الحاج، في مارس من العام نفسه، للاهتمام بالمسألة الدينية و منافسة نوادي التهذيب، فقرر إنشاء "مجمع روحي لترسيخ القناعات الدينية للمغاربة المقيمين في فرنسا". و قد استمر الصراع بين هذه الأطراف إلى أن زار الأمير شكيب أرسلان[18] باريس فتوسط للإصلاح بين الفضيل الورتلاني ومصالي الحاج. و كان من علامات هذا الصلح، اشتراك كل من الزعيمين مع شكيب أرسلان في الحفل الذي أقامه نادي طلبة شمال إفريقيا بمناسبة عيد الأضحى، و لكن التنافس

على تأطير الجالية الجزائرية ظل قائماً بين النوادي والحزب مصالي حتى نهاية عام 1938م أي بعد هجرة العلامة الورتلاني إلى مصر[19].

في أواخر عام 1938، اشتدت مضايقات الإدارة الاستعمارية له و أخذت تسعى لاعتقاله و اغتياله، فغادر باريس خفية بمساعدة المصلح و الداعية الكبير الإسلامي الأمير شكيب ارسلان و التحق بالمشرق العربي و قصد مدينة القاهرة و اتصل بالشخصيات الإسلامية و العلماء و مكافحي بلدان المغرب العربي و متن صلاته بكبار شيوخ الجامع الأزهر أمثال: الشيخ حسن البنا رئيس جمعية الإخوان المسلمين و الشيخ الخضر حسين ... و ركز في عمله و جهاده على التعريف بالجزائر وطنه الأصغر و بالعالم العربي و الإسلامي وطنه الكبير[20].

ثانيا : نشاطه في المشرق العربي

1 - هجرته إلى مصر 1939

وصل الفضيل الورتلاني إلى مصر في عام 1939، و قد سبقته السمعة العالية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي اعترف بجهادها كثير من علماء الشرق و دعاة الإصلاح. كانت له علاقة أخوية ومتينة بجمعيتي " الإخوان المسلمين " و " الشبان المسلمين " و جمعية إسلامية أخرى هي " جمعية عباد الرحمن " ببيروت[21]. و في القاهرة لعب الشيخ الفضيل الورتلاني دورا بارزا في تكوين جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية التي أسندت رئاستها إلى الشيخ الخضر حسين الجزائري الأصل و تولى هو منصب الكاتب العام لها يوم 18 فيفري 1944.

و من أهم الأعمال الجليلة التي قام بها الفضيل الورتلاني في المشرق العربي مساهمته في تأسيس بعض الهيئات و المنظمات السياسية التي سعى في تكوينها و أسهم في نشاطها بحظ موفر نلخصها في :[22] اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر التي أسست بالقاهرة سنة 1942.

1) جمعية الجالية الجزائرية التي أسست أيضا في نفس التاريخ تقريبا.
2) جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا أسست بمصر سنة 1944.
3) جبهة تحرير الجزائر التي تم إنشاؤها بلبنان في فاتح نوفمبر سنة 1954.

تمكن الورتلاني خلال إقامته بمصر من أن يؤسس مكتبا يحمل اسم مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1949، الذي كان ممثلا له، و اجتهد كثيراً و نجح في إقناع الإخوة العرب لمد يد المساعدة للطلبة الجزائريين لإكمال دراستهم[23]. و من ذلك المكتب انطلق صوت الجزائر إلى الدول العربية و الإسلامية، فكان للورتلاني اتصالات واسعة بالعديد من الشخصيات العلمية و السياسية

بهدف التعريف بالجزائر وقضاياها، و إقناعها بضرورة تقديم العون و المساعدة لها. انخرط الورتلاني و هو بالقاهرة في العديد من المنظمات الإسلامية، و ساهم في نشاطها الدعوي و كتب في أغلب الصحف و المجالات المشرقية، كما كان على صلات وثيقة بكثير من أعلام الفكر و الإصلاح في المشرق أمثال الأمير شكيب أرسلان، الإمام حسن البنّا، محي الدين الخطيب، رشيد رضا و محمود العقاد و غيرهم[24].

2 - دوره في ثـورة اليمن 1948

امتد نشاط الفضيل الورتلاني إلى مساندة الأحرار في اليمن، فقد أسهم هذا الأخير و رفيقه المصري عبدالحكيم عابدين مع إخوانهما في اليمن لرفع الظلم الواقع بهم، و إزاحة العقبات التي تحول دون تحقيق أمانيهم في الحياة الحرة الكريمة. لقد كانت البلاد تموج بحركة معارضة قوية، و رغبة طموحة في الإصلاح و التغيير، و كان الإمام حسن البنّا على علم بما يجري في اليمن، ومِن تطلُّع إلى الخروج بالبلاد من عزلتها و فقرها وجهلها، فأوفد "الفضيل الورتلاني" إلى هناك سنة 1947 و نجح في توحيد صفوف المعارضة، و إزالة الخلاف بينهم، و بدأ في تهيئة الناس للتغيير بخطبه الحماسية التي تلهب المشاعر و توقد الحماسة في الصدور. و في فبراير 1948 نجحت المعارضة في الوصول إلى الحكم بعد إزاحة الإمام "يحيى" واتهم الورتلاني بالمشاركة في محاولة انقلابية في اليمن، فقبض عليه هناك ثم أفرج عنه مع من شملهم العفو الذي سخر منه الشيخ الإبراهيمي في مقالة نشرها في البصائر معرّضاً بالنظام القائم على الهوى لا على القانون. فغادر الورتلاني اليمن، وتنقل في عدة دول أوربية، و رفضت الدول العربية استقباله حتى وافقت لبنان على استقباله، شريطةَ أن يكون الأمر سرًا[25].

يقول الأستاذ أحمد بن محمد الشامي في مذكراته رياح التغيير في اليمن « ... وفي اعتقادي أن العالم المجاهد الجزائري السيد الفضيل الورتلاني هو الذي غيّر مجرى تاريخ اليمن و أنه حين وضع قدمه على أرض اليمن كأنما وضعها على زرّ دولاب تاريخها فدار بها دورة جديدة في اتجاه جديد، لأن ثورة الدستور سنة 1948 هي من صنع الورتلاني.. لقد كانت هناك معارضة يمنية و كان هناك نقد و منشورات ضد الدولة، و كانت هناك طموحات و زعامات و تحفزات، و كل ذلك يصلح أن يكون وقوداً لثورة ما.. و لكن المعارضة كانت بلا تنظيم، و اتجاهات زعمائها مختلفة و متباينة، و المناشدون بالإصلاح و دعاة التغير و التطور لا توحدهم رابطة، و النقد و التبرم غير موجهين توجيهاً سياسياً هادفاً بناءً.. و الطموحات تتنافس فيما بينها، وكل متربص بالآخر، و الزعامات العلمية و الدينية و السياسية قد خدّرها الوهن، و جمدتها الأطماع، و التحفزات الوطنية ليس لها زعماء أكفاء ذو مؤهلات قيادية، فلما جاء السيد الفضيل الورتلاني، عمل ما لم يعمله احد من اليمنيين، فوحّد شتات المعارضة في الداخل و الخارج و ارشد المطالبين بالإصلاح و المناشدين بالتغيير و التطوير إلى طرق العمل و جمعهم في رابطة وطنية، و قارب بينهم و بين أرباب الطموحات السياسية و الزعامات

العلمية والدينية و القبلية و التحفزات الإصلاحية من الناقمين و الناقدين و المتبرمين، و صهر مجهوداتهم و أهدافهم واتجاهاتهم و آمالهم و أمانيهم في بوتقة الميثاق الوطني و إنني اعتبر الورتلاني هو الذي استطاع أن يقنع الرئيس جمال جميل بأن يؤلف جبهة من ضباط الجيش لتأييد الدستور، و أنه هو الذي أعاد الثقة إلى قلوب الموشكي و الشامي، و جعلها يتعاونان من جديد مع الزبيري ونعمان في إطار الميثاق الوطني، و هو الذي استطاع إقناع الأمراء و العلماء و المشايخ و التجار و الضباط و الأدباء بمبايعة عبد الله الوزير إماما ثورياً دستورياً. و لولا الورتلاني ما توحّد الأحرار في اليمن فالورتلاني هو مهندس ثورة 1948 حقاً »[26].

ثالثا : نضـــــال الشيـخ الفضيـــل الـــورتلانـــــي

1 - الفضيل الورتلاني و ثورة التحرير الجزائرية 1954 - 1959

حين اندلعت الثورة الجزائرية سنة 1954 أعلن الشيخ الفضيل الورتلاني مساندته لها، و عمل في صفوف جبهة التحرير، يدعو الدول الإسلامية إلى ضرورة تقديم الدعم المادي و المعنوي للشعب الجزائري في معركته ضد الاستعمار الفرنسي[27]، و في هذا الصدد وصف الشيخ الورتلاني الثورة المباركة بالبركان الذي انفجر في الجزائر ليلة اليوم الأول من نوفمبر، و في اليوم الثالث من نفس الشهر، أي ثلاثة أيام فقط من اندلاع الثورة التحريرية، نشر الورتلاني مقالاً تحت عنوان: "*إلى الثائرين من أبناء الجزائر: اليوم حياة أو موت*"، جاء فيه : « أيها الأحرار الجزائريون – أيها المكافحون في جميع أقطار المغرب العربي. اعلموا... أن الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا، فرضه عليكم دينكم، و فرضته قوميتكم، و فرضته رجولتكم و فرضه ظلم الاستعمار الغاشم الذي شملكم ثم فرضته أخيرا مصلحة بقائكم، لأنكم اليوم أمام أمرين: إما حياة أو موت، إما بقاء كريم أو فناء شريف »[28].

كما كتب في مقال بعنوان " *أوسع المعلومات عن بداية الثورة في الجزائر* "، ما يلي: « [...] و قد كنا نحن الجزائريين الموجودين خارج الجزائر، نترقب هذه الثورة و نتوقعها، نترقبها لأنها الأمل الوحيد في تحريرنا من التعسف الفرنسي، الذي لا يعرفه إلا من أبلي به، و نتوقعها لأن هذا هو وقتها و لأن فرنسا لا تفهم إلا هذه اللغة و لا يفتح آذانها إلا هذا الصوت »[29].

في 15 نوفمبر من العام نفسه وجه الورتلاني بمعية الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بياناً إلى الشعب الجزائري بعنوان " نعيذكم بالله أن تتراجعوا "[30]، و بتاريخ 17 فيفري 1955 شارك في تأسيس

جبهة تحرير الجزائر التي تضم الشيخ البشير الإبراهيمي و ممثلي جبهة التحرير الوطني: أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد خيضر و بعض ممثلي الأحزاب الجزائرية مثل الشاذلي مكي و حسين لحول، عبد الرحمان كيوان و أحمد بيوض وغيرهم[31].

سافر الفضيل الورتلاني كثيراً في سبيل شرح القضية الجزائرية فزار معظم الدول الإسلامية، و التقى كثيراً مع زعماء المسلمين مثل عبد الرحمان عزام أمين عام الجامعة العربية، الشيخ محمد الخضر حسين، الشيخ محمد عبد الله دراز، الشيخ مصطفى عبد الرازق، الأمير عبد الكريم الخطابي، المفتي محمد أمين الحسيني، وأحمد سوكارنو رئيس إندونيسيا الذي استقبله رسمياً في قصر الرئاسة في جاكارتا، و في كل بلد نزل فيه خطب وحاضر في المشكلة الجزائرية مدافعاً عن الشخصية الجزائرية و مطالباً بحق الشعب الجزائري في تسيير شؤون بلاده بنفسه.

لم يكتفي الأستاذ الورتلاني بمحاضرات يلقيها في مختلف الأندية و المؤتمرات و لا بمقالات في مختلف الصحف و المجلات بل عمل على تأسيس الهيآت و المنظمات التي آلت على نفسها أن تدافع عن الثورة الجزائرية إلى جانب مدافعتها عن كفاح أقطار المغرب العربي، و من الهيآت التي سعى في تأسيسها وساهم مساهمة في نشاطها: **جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية**[32].

إضافة إلى ما سبق حضر الفضيل الورتلاني عدة مؤتمرات دولية و كان أكبرها المؤتمر الإسلامي الشعبي الذي عقد في القدس و ألقى فيه خطاباً مؤثراً، و قد شارك في هذا التجمع كبار العلماء و المصلحين مثل سيد قطب الذي مثّل جماعة الإخوان المسلمين. اعترافاً بجهاده في سبيل وطنه الجزائر المحتلة و دفاعه عن فلسطين و كفاحه من أجل نهوض شعوب العالم الإسلامي، اختار المؤتمر الإسلامي العالمي و مؤتمر علماء الإسلام الفضيل الورتلاني مندوباً خاصاً يمثلها عبر رحلاته حول العالم[33]. عُين الأستاذ الورتلاني ابتداء من سنة 1955 عضوا قياديا بمكتب جبهة التحرير الوطني بالقاهرة، ثم انتدبته الجبهة في سنة 1958 ممثلا لها بتركيا[34].

2 - تأسيس جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية 1944

تأسست الهيئة العامة لجمع الشمل و توحيد الرأي و الكفاح، ***جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية***، بالقاهرة في 18 فيفري 1944، ترأسها محمد الخضر حسين[35] رفقة الأمير مختار الجزائري كنائب له و الشيخ الفضيل الورتلاني سكرتيره العام، و قد كتب هذا الأخير، يقول : « و لما جاء عام 1944 تألفت هيئة عامة لجمع الشمل، و توحيد الرأي و الكفاح، سميت (**جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية**) تحت رئاسة العلامة الجليل شيخ الأزهر سابقا الأستاذ الأكبر محمد الخضر حسين و سكرتاريه الأستاذ الفضيل الورتلاني، و ضمت أعضاء من جميع أقطار المغرب العربي، و من جميع الهيئات و الأحزاب، و

وضعت لها قانونا أساسيا استهدفت فيه بالدرجة الأولى، استقلال هذه البلاد، استقلالاً تاما لا زَيْف فيه، و وحدة كاملة شاملة لا نقص فيها، فأبلت هذه الجبهة بلاءً عظيما في سبيل تنمية روح الاستقلال و الوحدة في نفوس أبناء المغرب العربي، عامتهم و قادتهم، و في سبيل إشاعة هذه المعاني في بلاد الشرق، شعوبهم و حكومتهم، و تم لها الكثير مما أرادت، إذ أصبحت كلمة الاستقلال و كلمة الوحدة من التحيات المفضلة عند المغاربة جميعا و خفت روح الإقليمية حتى كادت أن تختفي تماما ... »[36].

كان مقر جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية في دار " جمعية الهداية الإسلامية " في القاهرة، و جاء في النداء الأول للجبهة الذي يشير إلى فرنسا و جرائمها ما يلي: « و ما ارتكبته هناك من فضائح التنكيل و التقتيل مما زاد الوطنيين حماسة لقضيتهم و قوّى اتجاههم إلى العمل لتحرير أوطانهم. و قد عرف صدق عزيمتهم جاليات في مصر من أبناء تلك البلاد، فانشئوا جبهة تدعى (جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية)، لتكون عونا لتلك الشعوب على بسط قضيتهم للعالم الإسلامي، و تتولى الدفاع عنها بيقظة و حزم، وتعمل لهزّ العواطف النبيلة في نفوس الأمم الإسلامية، حتى يشدّوا أزرها في العمل لتحرير و إسعاد خمسة و عشرين مليونا من العرب المسلمين، و إنقاذهم من الاندماج في الجنسية الفرنسية، و انقلابهم إلى الديانة النصرانية و هما الغرضان اللذان تعمل لهما فرنسا ليلها و نهارها »[37].

ضمت جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا أعضاء من جميع أقطار المغرب العربي، و من جميع الهيئات والأحزاب، و وضعت لها قانونا أساسيا استهدفت فيه بالدرجة الأولى، استقلال هذه البلاد، استقلالا تاما لا زيف فيه، و وحدة كاملة شاملة لا نقص فيها، فأبلت هذه الجبهة بلاء عظيما في سبيل تنمية روح الاستقلال و الوحدة في نفوس أبناء المغرب العربي عامتهم و قادتهم، و في سبيل إشاعة هذه المعاني في بلاد الشرق شعوبهم وحكوماتهم، و تم لها الكثير مما أرادت، إذ أصبحت كلمة الاستقلال، و كلمة الوحدة من التحيات المفضلة عند المغاربة جميعا، و خفت روح الإقليمية، حتى كادت أن تختفي تماماً، كما خفت أغنية الإصلاحات و الاستقلال الأعرج الذي تغطي عرجه إصلاحات استعمارية كاذبة و خادعة، و حتى أصبح أهل المشرق يدركون خطورة هذه البلاد، و أصبحوا يحسون في الوقت نفسه، بواجبهم نحوها، بعدما كانوا ينظرون إليها، كما ينظر الطالب الابتدائي إلى أطلس الجغرافيا[38].

- أهداف جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية

لقد عملت جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية على **التعريف بالقضية المغاربية** قصد إطلاع الرأي العام العربي و الدولي بأوضاع المغرب العربي، و لفت انتباه حكام و ملوك الدول العربية مستغلين المناسبات الدينية، مستعملين عدة وسائل أهمها المذكرات و البيانات السياسية التي كانت توجهها إلى الجامعة العربية و هيئة الأمم المتحدة سنة 1945 [39]. فقد عملت أقصى ما يمكنها **للتعريف بقضايا المغرب العربي**، و عقدت المؤتمرات واللقاءات مع المسؤولين العرب و المسلمين و شرحت للناس كافة في المشرق

ما تتعرض له شعوب المغرب وكشفت جرائم فرنسا و خططها الدنيئة أمام الرأي العام في بلاد لم تكن تسمع عن المغرب العربي إلا اسمه[40].

و بذلت الجبهة وسعها في **خدمة قضايا المغرب العربي**، و كانت أعمالها و مواقفها المشرفة ومحاضراتها و نشرياتها و مساعيها مع ملوك و رؤساء الدول العربية و الإسلامية دعما قويا لحركات الاستقلال في المغرب[41].

كما عملت " جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية " على **تحقيق حرية و استقلال شعوب شمال إفريقيا**، ومارست نشاطها الوحدوي جامعة كل المواطنين المغاربة بالقاهرة و المشرق العربي متبنية عدة وسائل نضالية منها إصدار بيانات و مقالات في الصحف مثل مجلة "النذير" و " الهداية الإسلامية" التابعة للشيخ محمد خضر كما أقامت محاضرات و ندوات في مقرات جمعيات مصرية[42]. و مما أعطى لجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية دورا بارزا في هذه الظروف الصعبة، أنها تحولت إلى قلعة يلجأ إليها أحرار المغرب العربي فقد لجأ إليها الأمير عبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف بعد تحريره، و جماعة مكتب المغرب العربي بأوروبا، و منهم الحبيب ثامر و الرشيد إدريس و الحسين التريكي و يوسف الرويسي[43].

استهدفت هذه المنظمة تحقيق استقلال بلدان المغرب العربي من الاستعمار الفرنسي، و **الانضمام إلى جامعة الدول العربية**[44] هذا ما يؤكده الأمير مختار الجزائري عن إنشاء جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا " أن هدفها الأساسي هو استقلال شعوب المغرب كلها استقلالاً تاما، في وحدة كاملة و الانضمام إلى جامعة الدول العربية "[45].

قامت جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية بمساعي حثيثة، وبذلك بذلت جهودا كبيرة في سبيل **خدمة قضايا الجزائر و المغرب العربي** و إزالة الستار الاستعماري عنها و كان الفضيل الورتلاني عنصراً فعالاً في تسييرها[46] يقول في هذا الصدد حول نشاط الجبهة : «كان أكبر نشاطها مع الدول العربية و شعوبها و مع دول الأمم المتحدة و شعوبها، تقدم المذكرات و ترفع الاحتجاجات و تنور الأذهان بالخطب و المقالات و تتصل بالهيئات و الأندية و الشخصيات و تتابع بعناية كبيرة النشاط الذي يقوم به رجال الوطن في البلد، و تعمل على إذاعته حسب المناسبات. أما هدف الجبهة الأخير كما يشرحه الشيخ الفضيل الورتلاني فهو ***استقلال أقطار المغرب كلها استقلالا تاما في وحدة كاملة و الانضمام إلى جامعة الدول العربية*** و العزم معقود على مواصلة العمل لإدراك يوم النصر الحقيقي، يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله و الله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم ».

أما القانون الأساسي لجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية فهو كما يلي:[47]

مادة 1 – في يوم أول ربيع الأول سنة 1364 الموافق ل1944م تألفت هيئة في القاهرة تسمى (جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية).

مادة 2- أغراض الجبهة : السعي بالطرق المشروعة لتحقيق حرية و استقلال شعوب شمال إفريقيا(تونس، الجزائر، المراكش)- السعي لضم هذه الشعوب إلى الجامعة الدول العربية .

مادة 3 – دستور الجبهة : (التضامن و تحرير العصبيات)

مادة 4- تسعى الجبهة لتحقيق أغراضها بجمع الوسائل المشروعة كإنشاء صحف وفتح أندية و إيجاد شعب لها في مصر و خارجها إذا اقتضى الحال ذلك .

3 - الفضيل الورتلاني و وحدة المغرب العربي

إن أهم أفكار و آراء الشيخ الفضيل الورتلاني قد جمعت في كتاب أطلق عليه اسم **الجزائر الثائرة** و قد ظهرت الطبعة الأولى للكتاب سنة 1956 تحت إشراف و تمويل " جمعية عباد الرحمن " ببيروت و أعيد طبع الكتاب سنة 1963 للمرة الثانية ببيروت و ظهرت الطبعة الثالثة للكتاب بالجزائر[48].

احتوى الكتاب على شهادات العلماء و السياسيين العرب في الإشادة بذكره و التنويه بجهاده. يعتبر هذا الكتاب **الجزائر الثائرة** مصدراً هاما لمعرفة أسلوب و جهاد و أفكار الفضيل الورتلاني بالإضافة إلى سيرته حيث يضم العديد من المقالات و الشهادات حول الرجل و أهمها ما كتبه رفيق سنو باسم جمعية عباد الرحمن عن الورتلاني الذي يعرفه أشد المعرفة[49].

إن كتاب **الجزائر الثائرة** يتضمن مقالات كتبها الشيخ الورتلاني و نشرها في مختلف الصحف المشرقية، يعكس بصدق حياة المؤلف الخصبة[50]، فهذا الكتاب يزخر بالمراسلات و الكتابات و النداءات التي قام بها تطفح كلها بالوطنية الإسلامية الفياضة و بدعوة المسلمين إلى اليقظة و الوحدة و العمل للتخلص من الاستعمار ورواسبه، لقد كان الورتلاني لوحده جبهة و كتيبة عسكرية، و أدى ما عليه من واجب كان يشعر به و يحس بثقله[51].

و إذا استعرضنا هذا الكتاب نجده يحتوي على مواضيع متنوعة و بأشكال مختلفة، فلقد جمع الكتاب معلومات عن تاريخ جهاد الجزائر و التعريف بالثورة التحريرية و نماذج عن سياسة فرنسا في الجزائر و عن المغرب العربي و قضايا التحرر في المغرب العربي و جملة من خطب و مذكرات جمعية العلماء، و خطابات مفتوحة من الورتلاني إلى سفير فرنسا في القاهرة و تصريح للورتلاني عن اليمن و عن رحلته إلى الأندلس وكلمة حول سياسة بريطانيا الاستعمارية و غيرها من المواضيع[52]، و لنأخذ فكرة أوضح عن محتوى الكتاب من الفكر الورتلاني من خلال بعض العناوين الموجودة في الكتاب كما يلي:

- ثورة الجزائر كما يوضحها الفضيل الورتلاني
- جمعية العلماء الجزائريين باعثة الأمة الجزائرية و المغرب العربي
- جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية

- سيتحد أبناء إفريقيا الشمالية رغم أنوف المستعمرين
- *مذكرة إلى هيئة الأمم المتحدة من جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية*
- *لا قيمة لاستقلال تونس و مراكش ما لم تستقل الجزائر*
- أيها العربي ماذا تعرف عن المغرب العربي
- رسالة من الورتلاني إلى حكومة مراكش الحرة
- الثورة الاستقلالية الدائمة في إفريقيا الشمالية
- منع عقد مؤتمر طلبة إفريقيا الشمالية
- يوم العروبة المجاهدة في شمال إفريقيا

ترك الورتلاني الكثير من المقالات السياسية و الأدبية و الفكرية و التي تتميز بحدة الأسلوب بفعل طبيعته الثورية، و هذه المقالات موجودة في العديد من الصحف خاصة في المشرق، و منها الصحف المصرية مثل : " منبر الشرق "، " الدعوة "، " الإخوان المسلمون "، "مصر الفتاة "، " الكتلة "، " المصري " و كذلك اللبنانية مثل " الجريدة "، " الحياة "، " بيروت المساء "، " الأنباء " كما يمكن ذكر " المنار " السورية و"الصباح" التونسية و " المعرفة " المغربية و غيرها من الصحف و المجالات و الجرائد دون أن ننسى " البصائر "[53] لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[54].

لقد دافع الشيخ الورتلاني على وحدة أقطار المغرب العربي و يظهر ذلك من خلال نشاطه الثوري ونضاله الوحدوي التحرري المتمثل في عقد المؤتمرات و اللقاءات و كتابة الرسائل و المذكرات و النداءات إلى المنظمات الدولية و العربية أو شخصيات من أجل تحرير المغرب العربي و وحدته، يظهر ذلك من خلال رسالة أرسلها العلامة الورتلاني إلى حكومة مراكش الحرة تحت عنوان " وحدة المغرب العربي أمانة مقدسة في أعناقكم " يحث فيها ضرورة التعاون و التضامن المغاربي و مواصلة الكفاح في دول المغرب العربي إلى أن يتحقق الاستقلال التام للأقطار المغاربية، و مما جاء فيها ما يلي: « لقد لمستم بأنفسكم، ما كان لإتحاد المغرب العربي، و تعاون أبناء أمته، في الكفاح، من أثر فعال، في احترام الدنيا له، و في الاعتراف بوجوده الكريم، وبحقه في الحياة الحرة و في الاستقلال، لذلك أناشدكم الله باسم الأجيال، أن تجعلوا قضيته واحدة، لا تفريق فيها، كما جعل الله أمته واحدة، في توحيد دينها و في جنسها و في لغتها، و طبيعة أرضها، و في تقاليدها وصالحها، و حتى في توحيد أعدائها المستعمرين، على أنني لست الآن بصدد وضع الخطط لكم، حتى تكون برنامجا لوسائل تحقيق هذه الوحدة، معاذ الله أن أقصد إلى ذلك، فإن في رجالكم كل الكفاية و الحمد لله، بل الغاية طويلة، و العمل التفصيلي، إنما تمليه الظروف اليومية، و إنما مهمتي الآن، أن أذكركم بمبدأ قدسية هذه الوحدة، التي عملنا لها، علم الله منذ

ربع قرن و نيف، و إني أرى وجوب وضعها في حساب كل عمل، يعرض لكم، كحكومة تحضيرية، و كل إليها أمر وضع القواعد الأساسية، لمستقبل هذه الأمة العريقة »[55].

و يشرح المجاهد الشيخ الورتلاني قضايا التحرر في المغرب العربي و يؤكد حقيقة هذه الوحدة بين البلدان المغاربية رغم محاولات الاستعمار الفرنسي من أجل إفشالها قائلاً ما يلي : « إن إتحاد أقطار المغرب العربي، في دولة واحدة أو متحدة ، ليس أمرا ممكنا فحسب، بل هو الواجب المقدس الذي يسعى إليه كل مواطن حر صادق، و أسباب ذلك و مقتضياته بحمد الله قائمة، على أكمل وجه، و لو أردت أن تقابل بين مجموعة العوامل التي تربط بين أبناء المغرب العربي و بين أي مجموعة أخرى من جميع أطراف العالم، لوجدت روابط الأولى أكثر و أمتن. فالجنس واحد و الدين واحد، و المذهب واحد، و اللغة واحدة، و أخيرا فإن الآلام و الآمال واحدة لأن الظالم المستعمر الغاضب واحد. و قديما قال أمير الشعراء: إن المصائب يجمعن المصابينا: أما عن العقبات، فإن العقبة الوحيدة التي يمكن أن تعرقل هذه الوحدة أو هذا الإتحاد، فهي الاستعمار الفرنسي فقط، وهذا الاستعمار، إذا فاته أن يعرقل استقلال هذه البلاد فلا يقصر في بذل أعظم الجهود، لعرقلة وحدتها أو إتحادها، فالاستعمار الفرنسي مثل الشيطان تماما، و الشيطان يهمه أن يحمل الإنسان على الكفر بالله، فإذا عجز عن ذلك، أقنع بأن يضعف إيمانه على الأقل »[56].

أما عن وحشية الاستعمار الفرنسي و فضائعه في دول المغرب العربي يقول الفضيل الورتلاني: « إن القطر الجزائري كشقيقيه تونس ومراكش، يعيش اليوم في موجة من الاضطهاد لا يكاد الإنسان يجد لها نظير في تاريخ البشرية العاقلة، فلقد عبآ المستعمرون هنالك كل ما يملكون من قوة و مكر ضد الأهالي العرب العزل، مستخدمين في تعذيبهم لقتل الروح الوطنية و الاستقلال كل أدوات الحكم العسكري من أحكام عرفية و إيقاف كل المطبوعات و منع كل الاجتماعات و حرمان الأهالي من الغذاء و الكساء الضروريين بواسطة نظام التموين، بينما يأخذون كل ما يملكه العرب قهرا أبخس الأثمان، ليتاجروا به فيكسبوا أضعافا مضاعفة. و قد يساق المرء إلى السجن أو المعتقل لغير سبب معروف، بل ربما كان لمجرد نظرة لا يستلطفها الفرنسي منه فيلصق به أخطر التهم، و هذا يصدق من غير دليل و لقد بلغ عدد المعتقلين من خيرة أبناء أمة عشرات الآلاف و لا يزال من ورائهم يكافح و يستميت فعنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا »[57].

يواصل الشيخ الفضيل الورتلاني حديثه عن الاستعمار الفرنسي و جرائمه في مذكرة أرسلتها جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية إلى هيئة الأمم المتحدة وقّعها معا الشيخ محمد الخضر حسين و الأستاذ الفضيل الورتلاني بعنوان " *مذكرة إلى هيئة الأمم المتحدة من جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية* "، حول المجازر الرهيبة ماي 1945 بالجزائر، معتبرا هذه المظاهرات بمثابة ثورة الجزائر العربية، و مما جاء في هذه

البرقية ما يلي: « في بلاد الجزائر ثورة دموية واسعة النطاق، إنما هي وليدة العسف و الاضطهاد الذي تصبُّه الحكومة الفرنسية على الوطنيين في غير رحمة، و إنّ مثل هذه الثورة لشهادة صدق على أن السلام العام الذي تلهج به الدول الديمقراطية، و تعقد له المؤتمرات و تبذل في سبيله ما تستطيع من المجهودات، لا ينتظم في شمال إفريقيا إلا أن تتخلص شعوبه من ذلك الاحتلال الذي كنا نراه بأعيننا »[58]. و يتابع حديثه مما جاء في هذه المذكرة حول استعمار منطقة المغرب العربي قائلا: « كانت بلاد إفريقيا الشمالية: تونس و الجزائر و مراكش تتمتع باستقلالها حتى هاجمتها فرنسا و مدت عليها سلطانها بقوة و أهلها كارهون. استولت على الجزائر باسم الفتح و على تونس و مراكش باسم الحماية و أخذت تتصرف في شؤون تلك البلاد تصرف المستبد الغاشم. لا تبال أن تعتدي على النفوس و الأعراض و الأموال، ثم تعد الشكوى و المطالبة بالحقوق جناية يستحقون عليها أقصى العقوبات ويساعدها على هذا الاعتداء الفظيع أولئك الذين تسميهم بالمعمرين و تطلق أيديهم فيغتصبون الأموال و يعذبون الأنفس كما يشاءون »[59].

يذكر الشيخ الفضيل الورتلاني هدف هذه المذكرة التي بعثها إلى هيئة الأمم المتحدة، و المتمثل في ضرورة استقلال دول المغرب العربي من مخالب الاستعمار الفرنسي في إطار السلام العالمي، قائلا مايلي:«وجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية بالقاهرة تعرض على حضراتكم هذه المذكرة الموجزة و الهدف الذي نرمي إليه هو أن من واجب الدول الحريصة على نشر السلام العالمي أن تساعد على إنقاذ الشعوب المغربية من مخالب الاحتلال الفرنسي و تعلن أن العمل لتحرير ثلاثين مليونا من العرب المعروفين بالبطولة والوفاء بالعهد هو الوسيلة لانضمامهم إلى الأول التي تعمل للسلام العالي و تأييدها من صميم أفئدتهم. أما إذا تركوا وشأنهم فإن السلام العالمي لا ينظم ما دامت هذه الشعوب الإفريقية تجاهد في سبيل خلاصها من سيطرة الحكومة الفرنسية »[60].

لقد وجه الورتلاني خطاب إلى زعماء المغرب العربي فراسل حكومة مراكش ليبين لها أن التحرير يمر على الطريق المسلح قائلاً: «... فهؤلاء الأبطال المقاتلون، إن كانوا في نظر فرنسا لصوصاً، كما تزعم دائماً فيجب أن يكونوا في نظرنا نحن، هم جيش الأمة المظلومة المغلوبة على أمرها ". كما بعث برسالة إلى الملك "محمد الخامس " بمناسبة عودته إلى العرش بعد المنفى المفروض عليه ظلما و قهرا، و قد دعاه في هذه الرسالة إلى أمور أربعة قائلا له :[61]

- أن لا تقبلوا بغير الاستقلال التام الواضح
- وجوب اعتبار قضية المغرب العربي واحدة لا تقبل الانفكاك
- العمل على صيانة حركة الكفاح المسلح البرئ حتى تنال الحقوق بالفعل كاملة

- الاعتماد بعد الله على الشعب دائما، و الأخذ بالشورى التي قدسها الله ».

- وفـاتـــه

توفي العلامة الفضيل الورتلاني في مستشفى أنقرة في 12 مارس 1959 و دفن في العاصمة التركية، و في سنة 1987 نقل رفاة الأستاذ الفضيل من أنقرة إلى مسقط رأسه ببني ورتلان بالجزائر.

عاش الفضيل الورتلاني في مقاومة الجهل و محاربة الظلم داعياً إلى التحرر من سيطرة الاستعمار وكانت رحلاته عبر العالم فرصة لنصرة بلاده المحتلة و مناسبة لدعوة القادة و الشعوب العربية للنهضة. فقد نجحت نوادي التهذيب التي أسسها في فرنسا في استقطاب المسلمين المغتربين إلى دينهم و الاعتزاز بحضارتهم حتى أصبحت تثير مخاوف السلطة الفرنسية، و في المشرق العربي ترك آثاراً حسنة و سمعة مرموقة حتى أطلق عليه العلماء و الزعماء العرب لقب "المجاهد" رحمه الله رحمة واسعة .

الخاتمة

يعتبر العلامة الفضيل الورتلاني الجزائري من أبرز أعلام الحركة الإسلامية في الجزائر الذين كان له دور مهم و أساسي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و كان من اقرب الشخصيات للإمام عبد الحميد ابن باديس و البشير الإبراهيمي رحمهما الله. يعد من أحد أهم أقطاب العلم و الفكر و الإصلاح الديني في الجزائر وقدم كثيرا للجزائر و للمغرب العربي و للوطن العربي الإسلامي.

تظهر شخصية المرحوم الفضيل الورتلاني شخصية عظيمة متعددة الجوانب، فهو مجاهد عظيم و أستاذ كبير و المرشد و العالم و المصلح و الداعية الإسلامي و المجاهد الملتزم بقضايا و نضال وطنه الجزائر، ووطنه الكبير العالم العربي بما فيه المغرب العربي، و وطنه الأكبر العالم الإسلامي. *دافع عن قضايا المغرب العربي و اعتبره بأقطاره الثلاثة: تونس، الجزائر و مراكش أمة واحدة و قضية واحدة لا تقبل الانفكاك يكمل بعضها بعضا و يجب التعاون بين الجميع تعاونا تاما في الحرب و السلم حتى ينالوا حريتهم جميعا*.

كان الورتلاني من أبناء الجزائر فإن تحركه و جهاده لم يكن للجزائر وحدها، بل للمسلمين عامة؛ لأن غايته الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، تكلم عنه الأستاذ رفيق سنو أحد كبار الأعضاء في جماعة عباد الرحمن في لبنان، فقال عنه:[62] « حضرت كثيرا من مجالس الورتلاني، مع رجال السياسة، ابتداء من رئيس الجمهورية، إلى رؤساء الوزارات، إلى الوزراء و النواب و الصحفيين، فكان في كل

ذلك محل إكبار و إعجاب. وفي كل ذلك كان أستاذا معلما و موجها. في لغة مشرقة و منطق أصيل و كان في كل ذلك تستوقفني منه ظاهرة ملازمة له .. و هي: وفائه لوطنه الأول الجزائر و المغرب العربي. و لم أسجل له يوما العجز عن خلق الفرصة للتحدث عن آلام وطنه و آماله، و الدعوة الحارة إلى نصرته، ضد الاستعمار المتحكم فيه. و حضرت له كثيرا من المجالس مع رجال العلم و الدين من مسلمين و مسيحيين. فكانت تتجلى في لغته و أبحاثه معهم معاني السماء، و في جمالها و جلالها. و يعمر جو الحاضرين جو من الروحانية و التأثر، حتى لكأنهم صاروا في مجلس الصحابة و الحواريين ».

الهوامش:

[1] : علي مرحوم، **مواقف من جهاد الشيخ الفضيل الورتلاني**، "*مجلة الثقافة*"، عدد 34، أوت- سبتمبر 1976، الجزائر، ص.ص. 49 - 50.

[2] : الفضيل الورتلاني، **الجزائر الثائرة**، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص. 36.

[3] : سعيد بورنان، **شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830-1962**، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2004، ص. 179.

[4] : محمد الصالح الصديق، **أعلام من المغرب العربي**، الجزء الثاني، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص. 604.

[5] : يحي بوعزيز، **أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة**، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1995، ص. 176.

[6] : سعيد بورنان، المرجع السابق، ص. 181

[7] : محمد الصالح الصديق، المصدر السابق، ص. 610.

[8] : يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص. 177.

[9] : الفضيل الورتلاني، المصدر السابق، ص. ص. 16-17.

[10] : د. مولود عويمر، **المصلح الجزائري الفضيل الورتلاني 1906 ـ 1959م، أسهم في تغيير مجرى تاريخ اليمن الحديث**، مجلة المجتمع، الكويت، العدد 1410، 25 يوليو 2000، ص.ص. 44 ـ 46.

[11] : سعيد بورنان، المرجع السابق، ص. 183

[12]: مثل الشيخ سعيد صالحي، الشيخ الصالح بن عتيق، الشيخ حمزة بوكوشة، الشيخ السعيد البيباني، الشيخ فرحات بن الدراجي، الشيخ الشاعر محمد الهادي السنوسي، محمد الزاهر الميلي و الشيخ محمد واعلي العربي .

[13]: عبد الحفيظ محمد أمقران الحسني، **المرحوم الفضيل الورتلاني عبر المقاومة الجزائرية إلى ثورة التحرير الوطني 1900-1959**، "مجلة الثقافة"، تصدرها وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، عدد 100، سنة 1988، ص. 67.

[14]: لخضر سيفر، **شخصيات جزائرية**، الجزء الأول، دار الأمل للدراسات و النشر و التوزيع، الجزائر، 2007، ص. 114.

[15] : يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص. 177.

[16] : نفسه، ص. ص. 180-181.

[17] : عبد الحفيظ محمد أمقران الحسني، ص. 68.

[18] : ولد شكيب ارسلان يوم 25 ديسمبر سنة 1869 بلبنان، كاتب وأديب ومفكر عربي لبناني اشتهر بلقب **أمير البيان** بسبب كونه أديباً وشاعراً بالإضافة إلى كونه سياسياً. أحد أقطاب القومية العربية خلال هذا القرن. و قد توطدت هذه العلاقات أكثر بعد استقراره بمدينة جنيف السويسرية وإصداره لمجلة الأمة العربية، تجلّت أهداف شكيب ارسلان في الاتحاد والتحرّر والسير في موكب النهضة والعلم الحديث، و هو واحداً من كبار المفكرين ودعاة الوحدة الإسلامية والوحدة من أشهر كتبه "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟"، و"تاريخ غزوات العرب"...، أنظر: أحمد صاري،

شكيب أرسلان والحركة الوطنية الجزائرية، "*مجلة العلوم الإنسانية*"، جامعة قسنطينة، العدد 13، السنة 2000، ص. ص. 130 – 131.

[19] : د.مولود عويمر، المرجع السابق، ص.ص. 44 ـ 46.

[20] : يحي بوعزيز، ص. 183.

[21] : لخضر سيفر، المرجع السابق، ص. 116.

[22] : الفضيل الورتلاني، المصدر السابق، ص. 33.

[23] : لخضر سيفر، المرجع السابق، ص. 115.

[24] : سعيد بورنان، المرجع السابق، ص. 186.

[25] : عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة و الحركة الإسلامية المعاصرة**، دار البشير، الجزء الأول، الطبعة 8، 2008، ص. 697.

[26] : نفسه، ص. 699.

[27] : سعيد بورنان، المرجع السابق، ص. 188.

[28] : الفضيل الورتلاني، المصدر السابق، ص. 171.

[29] : الفضيل الورتلاني، المصدر السابق، ص. 178.

[30] : المصدر نفسه، ص. 140.

[31] : عبد الله العقيل، المصدر السابق، ص. 703.

[32] : محمد الصالح الصديق، المصدر السابق، ص. 623.

[33] : د.مولود عويمر، المرجع السابق، ص.ص. 44 ـ 46.

[34] : سعيد بورنان، المرجع السابق، ص. 188.

[35] : ولد - رحمه الله – في تونس عام 1873م، لما بلغ الثانية عشرة من عمره انتقل مع والده إلى العاصمة تونس، والتحق بطلاب العلم بجامعة الزيتونة و حصل منها على الشهادة العالمية في العلوم الدينية والعربية. حكم عليه بالإعدام - إبان الاستعمار الفرنسي لتونس - لاشتغاله بالسياسة ودعوته إلى التحرير. قام العلامة محمد الخضر حسين بتأسيس جمعية الهداية الإسلامية، وأصدر مجلة تحمل نفس الاسم، واشترك في تأسيس جمعية الشبان المسلمين، واستلم رئاسة تحرير مجلة (نور الإسلام) التي يصدرها الأزهر. اختير عام 1952م إماماً لمشيخة الأزهر، توفي بالقاهرة في 02 فيفري 1958، خلف آثاراً علمية عديدةً منها الحرية في الإسلام، ورسائل الإصلاح، والسعادة العظمى، والهداية الإسلامية، ومحاضرات إسلامية، والدعوة إلى الإصلاح، نقض كتاب الشعر الجاهلي، ونقض كتاب الإسلام وأصول الحكم، والرحلات، وتراجم الرجال، وأسرار التنزيل، والخيال في الشعر، ودراسات في الشريعة الإسلامية، وبلاغة القرآن، وله ديوان شعر جمعه بعض محبيه واسمه (خواطر الحياة).

[36] : الفضيل الورتلاني، المصدر السابق، ص. 269.

[37] : محمد الخضر حسين، **موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين**: جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، اعتنى به علي الرضا الحسيني، المجلد التاسع، دار النوادر، دمشق، 2010، ص. ص. 4330- 4331.

[38] : الورتلاني الفضيل، المصدر السابق، ص. 223.

[39] : محمد بلقاسم، **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1954/1940**، رسالة ماجستير إشراف الأستاذ أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ، 1996 ، 322.

[40] : محمد الخضر حسين، المصدر السابق، ص. 4331.

[41] : نفسه، ص. 4331.

[42] : الفضيل الورتلاني، المصدر السابق، ص.ص. 292-293

[43] : الذاكرة الوطنية، مطبعة الصومعة، الرباط، سنة 2002، ص. 59.

[44] : أبو القاسم سعد اللهّ، **الحركة الوطنية الجزائرية 1930 – 1945**، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الرابعة، بيروت، 1992، ص. 363 .

[45] : محمد الصالح الصديق، المصدر السابق، ص. 625.

[46] : علي مرحوم، نفسه، ص. 56.

[47] : الفضيل الورتلاني، المصدر السابق، ص. 225

[48] : لخضر سيفر، المرجع السابق، ص. 124.

[49] : منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، **موسوعة أعلام الجزائر 1954-1962**، ص. 94.

[50] : سعيد بورنان، المرجع السابق، ص. 190.

[51] : يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص. 185.

[52] : لخضر سيفر، المرجع السابق، ص. 125.

[53] : هذه مجموعة من المقالات نشرها الفضيل الورتلاني في جريدة **البصائر** :

- **جمعية التهذيب و عيد الفطر في باريس**، جريدة البصائر، العدد 49 ، السنة 1937، ص. 08.
- **إلى إخواننا بباريس**، جريدة البصائر، العدد 81 ، السنة 1937، ص. 03.
- **محاضرة قيمة في المؤتمر الدولي للكتاب الأحرار ألقاها فخر الشباب الجزائري الشيخ الورتلاني بذلك المؤتمر المنعقد في 18 يوليو 1937**، جريدة البصائر، العدد 100، السنة 1937، ص. 04.

- **انعقاد المؤتمر العالمي الثاني في باريس و خطبة الشيخ الفضيل الورتلاني**، جريدة البصائر، العدد 127 ، السنة 1938، ص. 02.
- **برقيات احتجاج من القاهرة**، جريدة البصائر، العدد 240 ، السنة 1953، ص. 01
- **الحبيب بورقيبة**، جريدة البصائر، العدد 279، السنة 1954، ص. 05.
- **هل يعرف العرب هذه الحقائق**، جريدة البصائر، العدد 286، السنة 1954، ص.08.
- **من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الرئيس**، جريدة البصائر، العدد 288 ، السنة 1954، ص.01.
- **الزلزال الآخر بالجزائر**، جريدة البصائر، العدد 288 ، السنة 1954، ص. 08.
- **اقتدوا بخصومكم أيها العرب**، جريدة البصائر، العدد 290 ، السنة 1954، ص. 08.
- **مكتب جمعية العلماء بالقاهرة**، جريدة البصائر، العدد 292 ، السنة 1954، ص. 04.

[54] : منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، المرجع السابق، ص. 94.

[55] : الفضيل الورتلاني، المصدر السابق، ص. 155.

[56] : نفسه، ص. 33.

[57] : نفسه، ص. ص. 281-282.

[58] : نفسه، ص. 284.

[59] : نفسه، ص. 230.

[60] : نفسه، ص. 231.

[61] : لخضر سيفر، ص. 122.

[62] : علي مرحوم، ص.ص. 62-63.